محاضرة رقم ٤	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	التاريخ
المادة باللغة العربية	فلسفة التاريخ
المادة باللغة الانجليزية	philosophy of history
المرحلة	الثالثة
السنة الدراسية	٢٠٢٣ / ٢٠٢٤
الفصل الدراسي	الأول
المحاضر	د. أحمد محمود حمود
العنوان باللغة العربية	التفسير العرقي للتاريخ
العنوان باللغة الانجليزية	ethnic and historical
المصادر والمراجع	فلسفة التاريخ – غوستاف لوبون
	ابن خلدون – المقدمة
	فلسفة التاريخ في الفكر الاسلامي – عبد الرحمن بدوي

المحاضرة : الرابعة

التفسير العرقي للتاريخ

تعد النظرية العنصرية من اخطر النظريات التي يحاول دعاتها بضيق أفقهم الحضاري والفكري اقحامها لتفسير التاريخ واحداثه وقد لاحظ بعضهم أن التمييز والاضطهاد بين المجموعات البشرية المختلفة ، يرجع بالأصل إلى اختلافات سلالية ، ظاهرة، لاسيما في اللون والشكل البيولوجي العام للإنسان . ولو أن هناك اختلافا حول تعبير العرق، أو الجنس، أو , الشكل، أو الصنف . الا أن هناك بعض العلماء ومنهم (كالموس) و (هانهارت) و (بنروز) وغيرهم قد أستهجن هذه التعابير بوصفها اما غير دقيقة وعتيقة او مكبلة بالمعاني المشوشة والغامضة. بل عدها بعضهم بعيدة عن المنطق وخاطئة . وقد فضلوا عليها استخدام تعبير « الجماعة السكانية ، أو الجماعات السلالية ». لاسيما انه في العصور الحديثة غدت كلمة سلالي ، او سلالة تستعمل من حين إلى آخر للإشارة إلى جماعات بشرية تتميز بشكل

واضح بروابط عرقية ووطنية معينة .

ينطلق الباحثون المهتمون بالدراسات الاجتماعية إلى اعتبار العنصرية أو فلسفة التمييز العنصري بأنها "أي تصور فكري ينطلق من الاعتقاد بتفوق مجموعة بشرية على غيرها ثقافيًّا وحضاريًّا بناءً على الاختلاف الجسماني كاللون والشكل أو العرق، ويمكن تفسير الاختلافات الثقافية بين البشر من خلال إرجاعها إلى أسباب بيولوجية، موروثة وخارجة عن سيطرة الإنسان.

وفي الواقع أن المفهوم العنصري الذي له علاقة بالسلالات البشرية له جذوره القديمة وحتى الذين درسوا المجتمعات البدائية لاحظوا ان هناك بعض المجتمعات رغم بدائيتها لها شعائرها وطقوسها الخاصة بها، والتي تعتز بها وتفتخر بها وتدافع عنها. كما يلاحظ أن بعض القبائل لا بل اغلبها تحاول قدر الإمكان حصر افكارها حولة اصالة اعراقها او انحدارها من مصادر مقدسة ، لاسيما القبائل التي تمارس العبادة (الطوطمية) وهي ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية وموضوع طبيعي يسمى الطوطم ، والطوطم يمكن أن يكون طائراً أو حيواناً أو نباتاً أو ظاهرةً طبيعية أو مظهراً طبيعياً مع اعتقاد الجماعة بالارتباط به روحياً. او (عبادة الأجداد) . وقاد ذلك بعض القبائل إلى ان تنظر إلى الأخرى بعين هينة او تضفي على أخرى صفات العلو في المكانة والعظمة . كما ساد الاختلاف بين بعض العلماء حول كلمة البدائية ، ذاتها فمنهم من وصم الأقوام التي الصقت بهم هذه الصفة بالعنف والتوحش والفوضى والبربرية . وهذه الأوصاف ان دلت على شيء فإنما تدل على قلة شأن من دمغوا بها في العلم الحضاري البشري . وهذا على العكس ممن أشار الى أن البدائية ماهي إلا مرحلة زمنية محددة من مراحل التطور التاريخي .

وقد تطابق هذا الوضع عينه في الدول والحضارات القديمة ذات النظم الحضارية العليا في عصرها ، البابلية والمصرية والإغريقية والرومانية وغيرها . إذ عكست مفاهيم تقسيم الناس إلى طبقات : الأسياد والأحرار والعبيد وقد نظر بعضهم اليها احيانا وكأنها مسألة طبيعية وفطرية ، وهذا ما اكده (ارسطو) في بعض آرائه السياسية والاجتماعية التي عكست من خلالها واقع الحضارة الإغريقية في عهده . وقد جاءت هذه المفاهيم احيانا نتيجة لدوافع حربية كما كان يحصل سابقاً عند الغزو والحروب فالغالب كثيراً ما يستعبد المغلوبين أو الأسرى . وفي أحيان أخرى يخضع العبيد إلى عملية المقايضة التجارية او البيع والشراء ومعاملتهم معاملة السلعة لا اكثر . كما يأتي ايضا من التمايز الاقتصادي والاجتماعي ، مثلما هو الحال في الهند ومن يماثلها في ذلك . لقد طغى مفهوم العبودية ، أو الرق ، او الأقنان ، وغيرها من المسميات بوصفها لوناً من الوان العنصرية فترات طويلة من التاريخ البشري ، والتي لم تُلغى بوصفها نظاماً محدداً سياسياً واجتماعياً على نحو وامل خاص الا في وقت متأخر من عصرنا هذا .

لقد برزت النظرية العنصرية بشكل كبير وواضح بعد " الاستكشافات الجغرافية – الاوربية" في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وبداية القرن السادس عشر بل وجد الأوربيون انفسهم وجها لوجه إزاء مجموعات بشرية متعددة مختلفة عنهم في لون البشرة وشكل الوجه كما واجهوا مجتمعات غريبة عنهم في تنظيماتها الاجتماعية والسياسية والدينية ، وأقل درجة منهم في مستوى العيش ونوعية الانتاج . ثم تبع ذلك تصاعد الحركة الاستعمارية التي بلغت ذروتها في القرن التاسع عشر ووقعت ضحيتها معظم شعوب العالم .

ان هذه الفوارق الجسدية والحضارية والمادية غرست لذي الأوربيين المستعمرين شعوراً فارغاً وغروراً متعالياً بالتفوق والقوة والتقدم الحضاري والفكري. وكانت حصيلة ذلك استعماراً واسترقاقاً لكثير من تلك الشعوب . وهذا ما حصل بالنسبة للهنود الحمر في الأمريكيتين وللزنوج في أفريقيا ولم يسلم من ذلك حتى العرب وغيرهم أيضاً. وكثيراً ما رافق هذه الحركة الاستعمارية دعاية واسعة وضجة ضخمة حول فضل الغرب على هذه الشعوب أو تحت غطاء تحضيرها أو تمدينها أو الأخذ بيدها إلى أسباب الرقي والتقدم . اضافة إلى ظهور عدد من الأدباء والكتاب والمفكرين وحتى الفلاسفة من الذين شرعوا حينها بتبرير أمثال تلك النظرة وبالتالي يغذونها بأفكارهم . ومن ثم قاد ذلك أيضا إلى ظهور نظريات عنصرية تؤكد على ما يسمى بسيادة الجنس الأبيض ، ودوره الحضاري ، وسلالته المتفوقة وبهذا يظهر أن الظاهرة العنصرية قد زامنت وزاملت الظاهرة الاستعمارية وسارت معها جنبا إلى جنب .

وفي الوقت الذي كانت فيه النظرية العنصرية في بداية تكوينها كانت الدراسات الانثروبولوجية (علم الأنسان) العلم الذي «يدرس البشر في جميع أنحاء العالم، وتاريخهم التطوري، وسلوكهم، وكيفية تكيفهم مع البيئات المختلفة وتواصلهم واختلاطهم معا». والاركيولوجية (علم الآثار) وهو علم يختص بدراسة البقايا المادية التي خلفها الإنسان ويبدأ تاريخ دراسة علم الآثار ببداية صُنع الإنسان لأدواته، وربما سمي علم العاديات نسبة إلى قبيلة عاد البائدة، وهو دراسة علمية لمخلّفات الحضارة الإنسانية الماضية وتدرس فيه حياة الشعوب القديمة . إذ أخذت تلك الدراسات في ميدان علم الأجناس او السلالات البشرية طريقها الى الظهور. لاسيما في ميدان دراسة التطور الإنساني الاجتماعي او الإنسان الحضري . وميدان دراسة الصفات الطبيعية للإنسان. ثم ميدان تقسيم المجموعات البشرية إلى سلالات واصناف وما ساد حولها من اختلافات في النظرة البيولوجية والحضارية .

لقد انعكست النظرية العنصرية في العصر الحديث من خلال اراء وأفكار كثيرين من المفكرين والمؤرخين والفلاسفة . لاسيما الألمان والفرنسيون منهم. إذ اظهرت أراؤهم توجهات فكرية منغلقة صاغت إلى حد بعيد جذور هذه النظرية . ويلاحظ أن الثورة الفرنسية وافكارها والحروب النابوليونية قد فعلت فعلها

في أيقاظ الشاعر القومية الألمانية وتركت بصماتها في إفكار كثيرين من الكتاب والمفكرين الذين خرجوا بالفكرة القومية الى حدود الرومانسية والتعصب وطرح كثير من الأفكار العنصرية .

يكاد الباحث لا يجد مجتمعًا ذا خلفية حضارية تاريخية إلا وله من هذه الآفة نصيب، فالكثير من أفراد تلك المجتمعات مارسوا نوعًا من أشكال التعالي على الغير، عن طريق تضخيم ميزات الجماعة وخصائصها في مقابل تبخيس الآخرين والإلحاح على دونيتهم!. وهذه الظاهرة الاجتماعية تكاد تكون كونيَّة، وتزداد كلما أوغل المجتمع في انغلاقه "حيث تتضاعف أوهام الامتياز لديه"! ولكنها ليست تجسيدًا حقيقيًّا لكارثة العنصرية وإن كانت تحمل في طياتها جذور بذرتها الأولى .